وتكنفه بطـــارقةٌ تيـــوس تبارى بالعشـــانين الضّخـــام
لهم خلقُ الحمير فلست تلقى فتى منهم يســـير بلا حزام
أناجى كل طبل هرثمى عريض الذقن بصّاق الكلام

فهو يعجب للعلوج كيف يقفون لنقاش المسلمين ، وفيهم البطارقة على لحى طويلة رأى فيها شبح التيوس ، وعلى ألبسة ذات أحزمة تصور فيها خِلَقَ الحمير ، وأضحكته الذقون والكلام يتطاير من خلالها إذا ما تحدّث القوم . وهو متشيع لآل البيت يهاجم العباسيين فيعدد معايبهم ومثالبهم فى صراحة وقوة ، ويوازن بينهم وبين آل البيت . ثم يهجوهم بقوله :

يا باعةَ الخمرِ كفّوا عن مفاخركم عنْ فتية بيعهم يوم الهياج دَمُ
تبدو التلاوة من أبياتهمْ سحـــراً وفى بيوتـــكمُ الأوْتارُ والنغمُ
ما فى ديارهم للخمر معتصرٌ ولا بيوتهـــم للســـوء معتصمُ
ولا تبيتُ لهمُ خنثى تنـــادمهمْ ولا يرى لهـــم قرْدٌ لهُ حشَمُ

فجعلهم كباعة الخمر المجوس . ورسمهم عاكفين على الغناء والعزف يشربون الخمرَ ويعتصرونه وبيوتهم أوكار للسوء ومعتصم للخبائث . تنادمهم خنثى وتحكمهم امرأة وقرد وخادمة . وهذا من أبلغ الهجاء الذى رُمى به العباسيون . ولطخ به تاريخهم السياسى . ولكنه على ذلك كله يعتمد على الفخر والذم فلا يصوّر صورة ساخرة مضحكة . وإنما يرميهم بالكفر والخنا والإلحاد والخروج عن الدين والبعد عن الشرع ، فهو فى ذلك كأجداده من الشعراء الإسلاميين والأمويين . ومثله الصنوبرى فى ديوانه الكبير المخطوط وكشاجم ، والسرى الرفاء ، وكلهم تناولوا العباسيين بفخر وذم ، فلم يخرجوا بهجاء فنىّ سياسى .

ويبدو أن شعراء العرب قد فهموا الهجاء السياسى على أنه حماسة ، وفخر . وهجوم . لم يصوّروا فيه أعداءهم ومذاهبهم ، ولم يقذعوا فى ذلك إقذاعهم فى الأعراض والأنساب وبيان المثالب والمعايب ، ورسم الخلال الذميمة كالجبن والبخل والبشاعة . فقد هجم عليهم التتار والمغول والصليبيون